(آزاد)

غلام علي آزاد الحسيني البلـگرامي

(١١١٦ ـ ١٢٠٠ هـ)

تمهيد: (الأسرة البلـگرامية الواسطية)

(بلـگرام) قرية جامعة من أعمال مديرية هردوئي بالإقليم الشمالي الهندي وهي مشهورة ومعروفة كمدينة عظيمة لكونها أهم مراكز الثقافة العربية الإسلامية بالهند منذ القرن السابع الهجري حيث استوطنتها أسرة واسطية عراقية الأصل يرجع نسبها إلى علي العراقي من ذرية الشهيد زيد بن علي بن الحسين السبط عليه السلام. وقد رأسها السيد محمد صغري بن السيد علي بن السيد حسين الحسيني (ت ٦٤٥ هـ) الذي دخل الهند من ناحية خراسان وفتح بلـگرام قسراً سنة ٦١٤ هـ في عهد السلطان شمس الدين ألتمش (ايلتمش) أحد سلاطين المماليك في الهند والذي حكمها من ٦٠٧ هـ/١٢١١ م إلى ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م وعمل في بلاطه فكلّفه هذا السلطان على حملة لتأديب حاكم بلـگرام الهندي المتعصب ضد الإسلام فدارت معركة خارجها قتل فيها الراجا الهندي ودخل محمد صغرى بلـگرام فاتحاً ٦١٤ هـ/ ١٣١٧م فعمّرها وأقام بها ومن نسله شاعرنا غلام علي آزاد.

كانت أسرة آزاد تحرص على تربية أبنائها تربية دينية عربية، ولذا فقد خرجت هذه الأسرة في بلـگرام شيوخاً ذاع صيتهم وانتشر ذكرهم ومنهم على سبيل المثال: السيد مرتضى الزبيدي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥ هـ) من أبناء عمومة شاعرنا آزاد ومعاصره أيضاً ـ صاحب تاج العروس، وإتحاف السادة المتقين بشرح أحياءُ علوم الدين وغيرهما من أمهات الكتب وأحد أساتذة المؤرخ الجبرتي، ومن هذا الأسرة أيضا السيد عبد الجليل البكرامي (١٠٧١ ـ ١١٢٨ هـ) جد شاعرنا الذي كان يجيد أربع لغات هي العربية والفارسية والتركية والهندية وله فيها أشعار وقد قال عنه السيد علي خان المدني صاحب سلافة العصر: "ما رأيت لهذا السيد بالهند نظيراً، ونظراً لتفوقه فقد فوض إليه السلطان أورنك زيب[1] عمل كاتب الوقائع وأمانة المال في إقليم السند، ثم رغب فيه السلطان فرّخ سير[2] عن هذا العمل فولاه لابنه محمد وجعل السيد من مستشاريه".

---

(١) أورنك زيب عالم كبير (١٠٢٨ ـ ١١١٨هـ/١٦١٩ ـ ١٧٠٧م) ترجمته في كتاب الشيعة في العصر المغولي/ ٢٤٤ وما بعدها.

(٢) فرخ سير بن عظيم الشان (ت١١٣١هـ ـ ١٧١٨م) ترجمته في كتاب الشيعة في العصر المغولي/ ٣٠٢ وما بعدها.

ومن أعلام بلـگـرام أيضاً: أمير حيدر حسين مؤلف "سوانح أكبري" ومفتى صدر ديوان عدالت في كلكتة، ونواب عماد الملك سيد حسين البلـگـرامي، وهو أول مسلم عُيّن وزيراً بالهند عام ١٩٠٧ م. ومن مشايخ بلـگـرام الذين استقروا فيها قبل السادة المتقدمين جماعة من المشاهير أمثال روح الأمين خان نائب حاكم كجرات وشيخ الله يار الذي قتل في أحمد آباد سنة ١٧٣٠ م وولده مرتضى حسين والشيخ الله يار ثاني صاحب كتاب "حديقة الأقاليم".

ويقول صاحب آئين أكبري (طبعة Bloch Mann، ج١، ص٤٢٤)، إن غالب سكانها أذكياء مولعون بالغناء وإن بها بئرا لمياهها فعل عجيب، فإذا شرب أحد من مائها أربعين يوماً يعظم حظه من الذكاء والجمال[١].

السيد غلام علي بن السيد نوح الحسيني نسباً والواسطي أصلاً والبلـگـرامي مولداً ومنشأً المعروف "بحسان الهند"[٢].

وأحد أبرز علماء الهند في عصره ولد في مدينة بلـگـرام في يوم الأحد ٢٥ صفر ١١١٦ (الموافق ٣٠ يونيو ١٧٠٤) ودرس فيها على عدد من أعلامها ومنهم:

السيد طفيل محمد الحسيني الاترولوي البلـگـرامي (١٠٧٣ ـ ١١٥١ هـ)

والسيد عبد الجليل البلـگـرامي جده لأمه (١٠٧١ ـ ١١٣٨ هـ)

والسيد محمد بن عبد الجليل بن أحمد البلـگـرامي، خاله (١١٠١ ـ ١١٨٥هـ)

والسيد لطف الله الحسيني الواسطي البلـگـرامي الصوفي (ت ١١٤٣ هـ)

وبعد أن أخذ آزاد مكانه بين شباب القرية في بلـگـرام يعلم الصغار ويتلقى عن الكبار، وبعد ما يقرب عن الكبار، وبعدما يقرب من عشر سنوات من إجازته عن جده السيد عبد الجليل ارتحل إلى إقليم سيوستان بالسند لزيارة خاله عامل المال وكاتب الوقائع فيها حيث أنابه خاله منابه ورجع إلى بلـگـرام ليقيم بها سنتين، ولأول وآخر مرة يتولى آزاد عملا رسميا منظماً لمدة سنتين أثبت خلالهما قدرة وجدارة في تصريف هذا العمل، ثم رجع خاله فتولى عمله بنفسه.

---

(١) راجع مآثر الكرام لآزاد، وكتاب تبصرة الناظرين للسيد محمد بن عبد الجليل البلـگـرامي وفيه ذكر الكثير من أعلام بلـگـرام الذين مضوا قبل سنة ١١٠٠، وفي آخبارها إلى سنة ١١٨٢ هـ، وكتاب شرائف عثماني لغلام حسن صديقي الفرشوري البلـگـرامي، الانسكلوبيديا الإسلامية ١١٢/٤، ويلاحظ ان الكثير من العوائل العلوية هاجرت من العراق في القرن السابع إلى خراسان وعدد منهم هاجر من هناك إلى الهند كما هو الحال مع العائلة البلـگـرامية، ومنهم شمس الدين العراقي الداعية الشهير الذي اسلم على يده في كشمير الآلاف من الهنادك.

(٢) حسان العرب: هو حسان بن ثابت، وحسان العجم هو أفضل الدين إبراهيم بن علي العجمي الخاقاني المتوفى بتبريز سنة ٥٨٢ هـ صاحب كليات خاقاني المطبوع بلكهنو في مجلدين سنة ١٩٠٨ هـ.

ولم تمض ثلاث سنوات بعد رجوعه من سيوستان بالسند حتى تاقت نفسه إلى زيارة الحرمين الشريفين وأخذه الشوق إلى الأراضي المقدسة فخرج هائما على وجهه دون زاد أو راحلة، في ٣ رجب ١١٥٠ هـ ولم يعلم أهله بخروجه لهذا الأمر إلا بعد يومين وحينئذ جَدّوا في البحث عنه وذهب أخوه غلام حسن إلى مرحلتين أو ثلاث فلم يعثر له على أثر، وفي هذا يقول آزاد:

هـاج البكـاء إلى منـازل رحمـة ... مسقية بالديمة الهطلاء

مـا لاح مـن نحـو الأبـارق بـارق ... الا وأذكـى النـار في احـشائي

وجلـست في كـد علـى بُعـدِ المـدى ... شـتان بـين الهنـد والـزوراء

لـو كنـت أخـبر جيرتـي وعـشيرتي ... لتزاحمـوا بـيني وبـين رجـائي

فخرجـت عـنهم خائفـا مترقبـا ... شـوقي أمـامي والأنـاس ورائـي

لـولا إعانـة جذبـة نبويـة ... أصـبحت في يـدهم مـن الأسـراء

وكان آزاد قد تهيب من إخبارهم برحلته خوفاً من أنهم سيمنعونه وفي ذلك يقول: "وصمّمت النية في زيارة الحرمين زادهما الله جاهاً وكرامة فخرجت من مولدي المحروس وأهل بيتي لا يعلمون بالأمر حيث سلكت اليسار وعجت إلى اليمين وقلت إنّي ذاهب إلى ربي سيهدين ولو علموا لسدوا دوني سبيلا وألقوا إليَّ «قولاً ثقيلاً» "، اتخذ آزاد أول سفره طرقا غير مسلوكة في الصحارى حتى لا يقع في قبضة الطالبين له من أهله ثم مال بعد أن أمن إلى الطرق المعبّدة، وقد لاقى في سفره هذا نصبا وأنشأ أثناءه شعرا بالفارسية وسماه الطلسم الأعظم، ولما وصل إلى بلدة "سرونج" من أعمال "مالوه" بالدكن كانت قدماه قد تورمتا واستحال السير عليهما فحمله جندي طيب القلب إلى الأمير "آصف جاه" الذي كان يستعد لمعركة من معاركه المتتالية مع "المراهتا" ولم يكن آزاد يرغب في لقاء الملوك والأمراء غير أنه لما رأى عجزه عن مواصلة السير والإبحار حضر مجلسه وأنشده بالفارسية وطلب منه أن يعينه على مواصلة الرحلة إلى الأراضي المقدسة فاستمهله الأمير ريثما تنجلي الحال ويعود الأمن فبقي في جنده نحو شهر يقول الشعر ليقوى به عزم المجاهدين ويشترك أحياناً في الحرب كواحد منهم، ومع الأسف فإننا لم نعثر له على شعر عربي في هذه المناسبة، ولما عقد صلح بين آصف جاه والمراهتا حمله الأمير إلى ميناء "سورت" ومنها ركب السفينة إلى جدة فوصلها في ١٩ محرم ١١٥١ هـ/١٧٣٨ م.

نزل آزاد في ميناء جده وكان موسم الحج قد انصرم فتوجه إلى مكة واعتمر وأقام بها يوما واحدا ثم خرج إلى المدينة المنورة فبلغها بعد شهر تقريبا، وفي جوار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، أقام آزاد ثمانية شهور تتلمذ أثناءها على الشيخ محمد حياة السندي، ونال منه إجازة الصحاح الست وسائر مقرراته كما زار المشاهد النبوية وقبر الشهيد حمزة بن عبد المطلب (رض) ولما اقترب موسم الحج ترخص من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً:

عليك سلام الله يا أشرف الورى لقد سال دمعي في فراقك فانيا
وما أنا إلاّ كالذي جاء منهلا فذاق ولكن عاد ظمآن باكيا

قال: ووصلت إلى بيت الله المعمور.. فراقبت الكوكب الدري وصحبت الشيخ عبد الوهاب الطنطاوي المصري (ت ١١٥٧ هـ).. وأخذت عنه فوائد جمة من الأحاديث النبوية، وذكرت يوماً من الأيام عند الشيخ الهمام أن شعراء الفرس والهند وضعوا طريقة حسناء حيث يختارون لأنفسهم اسماً ويذكرونه في مقاطع منظوماتهم ويجعلونها علائم على مرقوماتهم، والاسم هو المسمى بالتخلص في الشعراء الفارسيين لأنهم يتخلصون عند ذكره عن عرض الكلم على الموازين . والسر في ذلك أن الاسم الأصلي ربما (تسعه الأوزان فيختارون جوهرة يمكن أن يتزين بها التيجان، ثم عرضت على الشيخ أن تخلّصي آزاد[1] وهو الفائض علىّ من حضرة المُبدئ الجواد فسأل الشيخ عن معناه، واستدعى كشف الظلام عن سناه فقلت معنى آزاد العبد المحرر فخاطبني الشيخ: يا سيدي أنت من عتقاء الله، فاستبشرت بهذه الكلمة العليا وترقبت من نفسه المبارك بركة عظمى..).

ولما أنهى مناسك الحج واطمأنت نفسه في جنبات بيت الله العظيم، حنَّ إلى أهله وعزم على العودة إلى الهند وأنشد فيما انشده:

وهل الليالي الخيف بالعمر بايع أحن إلى الأحباب يوماً وراجع

وفي أوائل ربيع الآخر سنة ١١٥٢ هـ وصل الطائف واستطلع معالمها مردداً قول عزيز الدين الخليلي:

والله إني مغرم بالطائف لمَ لا وذلك كعبة للطائف

واشتد به الحنين وأمضَّ به الفراق وسعى لسعيه إلى بلاده ولسان حاله يقول ما قاله الشيخ عبد الله اليمني المكي:

أيا ساعياً للهند مبتغي الثرى تخوض بحاراً نحوه اليوم والليلا
عداك صواب الرأي فيما ترومه أتسعى إلى (هند) وتجفو حمى ليلى

وهذا مأخوذ عن قول الشيخ أحمد بن محمد علي الجوهري المكي المذكور في السُلافة حيث يقول:

ولو أن أرض الهند في الحسن جنة وسكانها حور وأملكها وحدي
لما قستها يوماً ببطحاء مكة ولا اخترت عن سُعدى بديلاً هوى هند

ونترك الكلام لآزاد ليتحدث عن ظروف عودته إلى الهند وما جرى له بعد العودة إليها:

---

(١) آزاد كلمة فارسية معناها حر، ولها معنى ديني هو التقي أو المتجرد عن الشهوات الدنيوية، ولهذا يحب الناس تلقيب أنفسهم بها كما فعل مير غلام علي بلكرامي. [دائرة المعارف الإسلامية ٢٢/٢].

قال: "وإنما بعثني على العود إلى الهند تعلق البال بالأهل والعيال سيما الأبوان ولقد نزلت فيهما آية الاحسان، فرجعت لخدمة هؤلاء وأدّيت حقوقهم حالة السراء والضراء، وبالجملة في الثالث من جمادى الأولى ركبت المركب من جدة المصونة وفي عرض ثمانية أيام وصلت إلى المخا الميمونة وزرت ضريح الولي سيدنا علي بن عمر الشاذلي قدس سرهُ ومكثت بها أربعة أيام وقضيت هناك ما كان من مرام، وفي التاسع والعشرين من الشهر المذكور وصلت إلى ساحل سترة (سرة) المسرورة وفي الثاني من جمادى الآخرة نزلت بهذه البلدة المعمورة وتاريخ رجوعي (سفر بخير) لأني رجعت بحمد الله سالماً عن الضر وأقمت بسورت خمسة أشهر إلاّ عدة أيام وكأنها كانت أضغاث أحلام، في الحادي عشر من ذي القعدة خرجت من سورت وفي السابع والعشرين منه دخلت محروسة اورنقباد صانها الله تعالى وبلاد الإسلام من الفساد وانزويت بتكية العارف الرباني شاه مسافر العجدواني قدس سره المتوفى سنة ست وعشرين ومائة وألف (١١٢٦ هـ) وقد أحلني فيها صاحبها مكرم الوفد مولانا شاه محمود سلمه الله تعالى في ذروة الاعراز والإكرام وأقمت بالتكية الشريفة سبعة أعوام وفي أواخر سنة تسع وخمسين ومائة وألف (١١٥٩ هـ) حصلت الموافقة بيني وبين النواب نظام الدولة ناصر جنك[1] خلف النواب نظام الملك أصفجاه[2] فأحبني حباً عجز القلم عن بيانه ورفعني مكاناً ما حام أحد حول أركانه، وكان لا يدعني في الظعن والإقامة ولا يملّ عن صحبتي حيناً من أزمنة الاستدامة حتى فاز بمرتبة الشهادة وذهب راتعاً إلى مسارح السعادة سنة أربع وستين ومائه وألف (١١٦٤ هـ) في نواحي اركات وقد غدر به جمع من الأفاغنة القاطنين بتلك الأنحاء).

ويظهر أن آزاد بعد أن آثر العزلة والانطواء بزاوية الشيخ العجدواني المذكورة صحب أمراء حيدر آباد الذي كانوا يحترمونه ويجلونه والتدريس والتأليف والتصنيف معرضاً عن مناصب الإمارة وقد كانت طوع يمينه بل لقد طلب منه نظام الدولة ناصر جنك بنفسه ان يختار منصباً رسمياً داخل إمارته فاعتذر له عن ذلك، وفي سيرته انه خاطب المير المذكور بقوله: مثل هذه الدنيا مثل نهر طالوت غرفة منها حلال والزيادة عليها حرام، ثم انشد الأمير بيتاً فارسياً يقول:

---

(١) هو أحمد بن قمر الدين بن غازي الحيدر آبادي، كان أميراً، شاعراً له ديوان شعر باللغة الفارسية طبع في مدراس ١٨٤٢، توفي ١١٦٤ (مآثر الأمراء ٨٥٦/٢، سرو آزاد/١٨٩).

(٢) هو قمر الدين بن غازي الدين الحيدر آبادي، تولى الامارة بالدكن ثلاثين سنة ولد ١٠٨٤ وتوفي ١١٦١ (سرو آزاد ١٧٣، نتائج الأفكار ٦٩). قال فيه آزاد:

هو ناصر الإسلام سلطان الورى ... ابقاه في العيش المخلد ربه

حاز المناقب والمآثر كلها ... جبل الوقار (يحبنا ونحبه)

وقال آزاد: (وما نظمت قط في مدح غني إلا هذين البيتين، هذا وانا يومئذ باورنقباد) قلت: في كتابه.

در دياركه شاهي بهر كَدا بخشند　　غنيمت است كه مارا همين بما بخشند

وحاصل هذا البيت بالعربية:

عصابة أعطوا العافين سلطنة　　إن سلموني لنفسي فهو مغتنم

وقد نظم آزاد هذه الحادثة شعراً فقال:

قال لي واحد من الخلصاء　　عاقل كامل من الفضلاء

ان هذا الأمير يرعاكا　　في كمال الخلوص يهواكا

فاطلب من مراتب الدنيا　　واكتسب من مناصب الدنيا

قلت يا ناصحا يكلفني　　مخلصا صادقا يعنفني

عند من نستعين لا هوتا　　هذه الدنيا نهر طالوتا

غرفة منه شربها مشروع　　والزيادات شربها ممنوع

وكان آزاد عزيز النفس لا يرضى بالهوان ولا يقيم على ذل: أراد والده السيد نوح الحسيني وكان يعمل في قصر الأمير شاهنواز حاكم ولاية "اله آباد" من قبل السلطان محمد شاه أن يحصل له ولأخيه غلام حسن على وظيفتين في القصر الذي يعمل فيه فأخذهما إلى رئيس الحاشية وأوصى بهما ثم انصرف إلى عمله غير أن رئيس الحاشية تشاغل عنهما بالتوقيع على أوراق كثيرة وطال وقوفهما دون أن يلتفت إليهما فأخذت آزاد العزة وقال: أن الرجوع إلى الخالق أفضل من الوقوف على باب مخلوق وخرج بدون استئذان فسأله الحاجب: إلى أين يا هذا؟ فأجابه آزاد: إلى البيت. قال الحاجب: هذه فرصتك الوحيدة وان جئت ثانيا فلم يسمح لك فلم يعره آزاد اهتماما وذهب الأخوان إلى البيت وتركا العمل في القصر.

وكان شاعرنا سريع التفكير سديد الرأي حاضر الجواب: اجتمع مجلس من العلماء والشعراء يوما في حضرة الأمير ناصر جنك فأنشد أحدهم بيتا لميزا صائب:

أهل كمال رالب إظهار خامشى است　　منت بذير ماه تمام هلال نسيت

ومعنى البيت في الظاهر أن أهل الكمال صمتهم بيان لا يحتاج إلى تفسير كالبدر لا يستمد نوره من الهلال لكن وقع الاختلاف في المقصود بماه تمام (البدر) اذ ما المناسبة بين أهل الكمال وبين البدر؟ وبينما المناقشة تدور في قوة اذ ابتدأ آزاد يقول: ليس المقصود من ماه تمام البدر وإنما يراد به هنا الشهر الكامل والمعنى على هذا أن أهل الكمال سكوتهم لا يحتاج إلى تفسير كمثل الشهر القمر إذا أتم ثلاثين يوما لا يحتاج الناس معه إلى رؤية الهلال بهذا حسم آزاد المناقشة وأقنع الحاضرين.

مذهبه الفقهي

أشار البحاثة آغا بزرك الطهراني إلى كثير من كتب آزاد في ثنايا كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة)كما خصه بترجمة مستقلة في كتابه (طبقات أعلام الشيعة) وعده من جملة الآخذين بالمذهب الشيعي آخذاً من اتصالاته بكثير من علماء الشيعة كالشيخ محمد علي الحزين (١١٠٣ ـ ١١٨٠هـ) وأنهما اجتمعا بالهند سنة ١١٤٧ هـ كما اجتمع بالسيد رضي بن نور الدين الجزائري سنة ١١٦٥هـ وكذلك نقله عن كتب الشيعة مثل صحيفة الرضا وتفسير العسكري وغيره. بينما نجد آزاد في ترجمته لنفسه يُصرحَ بحنفيته، لكنه لا يخلو من اعتقاد راسخ لدى آزاد بقربه من الأفكار الشيعية فهو ينحدر من أُسرةٍ علوية هُجرت من العراق بسبب هذا الانتماء واضطر غالبيتها للعمل بالتقية أو الأخذ بمشرب الصوفية من اجل صيانة أرواحها والحفاظ على حياتها وممتلكاتها، وهناك الكثير من الشواهد على هذه الحالة لأسماء المعروفة في تاريخنا القريب أمثال السيد جمال الدين الأفغاني (الأسد آبادي)، والسيد محمد بن عقيل الحضرمي، والسيد أبي بكر بن شهاب وغيرهم.

وقد يكون آزاد على طريقتهم وفي ترجمته لأخي جده السيد محمد جان الحسيني البلگرامي (ت ١١٤٩ هـ) يذكر انه ذهب إلى بغداد وسامراء والنجف وكربلاء وزار المشاهد المشهورة والمراقد المعمورة ثم انحاز إلى المشهد الرضوي ومشكوة المصباح الموسوي.. الخ ومعلوم أن زيارة أولئك الأئمة مما اختص به الشيعة والمفضّلة.

ومن يقرأ كتابه (مختار نامه) الخاص بأحداث ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي حكم الكوفة بعد عبد الله بن الزبير وعاقب جميع من اشترك في أحداث كربلاء من أنصار الامويين، لا يمكن إلا أن يقرّ بشيعيته، وليس عجيباً على من يقرأ كتابه (سند السعادات) وفي ضوء الكلام الذي سطره فيه إلاّ ان يعتبر آزاد أشد تشيّعاً من كثير من الخاصة، كما أن بعض ما نظمه من الشعر ينطبق على هذا القول تماماً، كقوله مثلاً مخاطباً رسول الله (ص)، ومادحاً أمير المؤمنين (ع) ضمن قصيدته لامية الهند:

المرتضى هو نفس المصطفى فلذا ... غلام خدمتك العليا غلام علي

وقوله أيضاً في مدح أمير المؤمنين (ع) (باللغة الفارسية) وفي هذين البيتين يوضح اهتداءه إلى باب العلم ورفضه اختيار خليفة غيره من بين السنة من أهل الشورى:

بر در شهر بني رحل اقامت ريختم ... تا برايم از طفيل آنجناب از ششدري

شاه عالم برور اظل عنايت كسترا ... جانب دركاه اقدس كرد بختم رهبري

وقوله في كرامة رد الشمس للإمام علي (ع):

أما كان ردّ الشمس بعد غروبها ... لأكرم كرار سني المآثر

أما إذا أردنا أن نصف الرجُل على ظاهره فلابد أن نتريث كثيراً قبل أن نعتبره ضمن أعلام الشيعة بالرغم من أن الشيخ الطهراني قد عده منهم فعلاً.

آثار آزاد

شعره:

برع آزاد في نظم الشعر باللغات العربية، والفارسية، والهندية وذكر في السبحة، عن نفسه "أنا صاحب الديوانين العربي والفارسي، ومالي في الهندي ديوان، ولكني ماهر بالشعر الهندي" وقال أيضاً: "وما ظهر في الهند قبلي من يكون له ديوان عربي، ومن يكون له شعر عربي على هذه الحالة". ونحن لا نشك بتفرد آزاد في عصره في مجال الأدب العربي الهندي لكن الهند الإسلامية لم تعدم شاعراً قبله وبعده كان على براعة تامة كما هو شأن آزاد، وقد يمضي الكثير من الوقت حتى نتحقق من هذا الأمر، ذلك إن غالبية ما كتبه علماء وأدباء الهند باللغة العربية ضاع وتلاشى لأسباب كثيرة وما بقي منه قليل منتشر في عشرات المكتبات الهندية وحتى هذه الثروة المتبقية تشكو من الإهمال والنسيان، فمن يعمل من أجل أحياء ذلك التراث نزر قليل من المهتمين، بالرغم من توفر عدد كبير من طلبة اللغة العربية وعشاق الأدب العربي في أكثر من خمسين جامعة حكومية أو معهد أهلي وربما أكثر من ذلك.

ونحن نرى من الظلم لآزاد أن يبقى شعره وأدبه وما كتبه من مصنفات في صناديق مقفلة وأهيب بمواطنيه وعارفي فضله من أهل بلاده أن يخرجوا آثاره القيمة لتظهر مساهماته في الأدب والعلوم العربية الأخرى فقد كسب آزاد مودة المطلعين على الأدب العربي في الهند وأحرز رضاهم وإعجابهم، فلنرى ما هو رأي أهل بلده فيه وما هو نظر الهنديين في آزاد؟

فقد قال بعض أصحابه فيما كتبه في ترجمة آزاد وجعله ديباجة للديوان الرابع: "إنه حسان الهند ومداح النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوجد في مدحه معاني كثيرة نادرة لم يتفق مثلها لأحد من الشعراء المفلقين، وأبدع في قصائده المدحية خاصة لم يبلغ مداها فرد من الفصحاء المتشدقين، وله في التغزل طور خاص يعرفه أصحاب الفن ومنحه الله قدرة على النظم بحيث ينظم قصيدة كاملة في يوم واحد بل في بعضه على كيفية يراها الناظرون وكلما يتوجه إلى النظم تحضر المعاني لديه صفا صفا وتتمثل بين يديه فوجا فوجا وهو قرر نصاب القصيدة في التغزل أحدا وعشرين بيتا وهي الدرجة الوسطى التي تريح الأسماع ولا تمل الطباع وإنما يميل خاطره إلى النظم في أيام الربيع وأما في غير هذه الأيام فيصدر الشعر من قريحته قليلاً لأن الربيع فيه تخضر المراتع وتهتز الطبائع. انتهى".

إذن فصاحبه هذا أضفى على (آزاد) لقب حسان الهند تشبيهاً له بشاعر النبي (ص) حسان بن ثابت الأنصاري، فهل كان يستحق هذا اللقب فعلاً، يقول عبد المقصود شلقامي: "الواقع ان آزاد قد اشترك مع حسان بن ثابت فإذا كان الأخير قد دافع عن الدعوة الإسلامية

ومدح صاحبها فان آزاد قد اقتفى أثره وأكثر في المديح وان لم يبلغ مبلغ حسان إجادة وشمولا، وإذا كان الفرس قد أطلقوا لقب حسان العجم على شاعرهم الخاقاني[1] وتعارفوا على ذلك فان آزاد بلا شك يستحق لقب حسان الهند في نظر أهلها على الأقل بل أن ما يؤيد استحقاقه وجدارته بهذا اللقب في رأينا أنه أنشأ مديحه النبوى في اللغة العربية والفارسية بخلاف الخاقاني الذي أنشأه بالفارسية دون سواها".

وفي معرض الموازنة بين آزاد وأمير خسرو الدهلوي يجد الباحث زبيد أحمد أن لآزاد (وهو عنده أكبر الشعراء وأجلهم في الهند) من الأدب العربي والشعر العربي عين ما لأمير خسرو من الأدب الفارسي وشعره منزلة، على أن أمير خسرو لم يكن هندياً خالصاً فقد وفد ابوه إلى الهند من بلاد فارس بينما كان آزاد هندياً أصيلاً إذ هاجر أسلافه إلى الهند قبل عدة أجيال.

وأضاف: "لم يكن للشعر الهندي ولا السنسكريتي أي تأثير على الشعر العربي قبل آزاد، نعم كان هناك شاعر أيام السلطان أكبر ينشد بالعربية وفق أوضاع هندية ولكنه كان على حساب التسلية والترفيه ولم يكن عملا أدبيا . وإنما آزاد هو الذي أضاف إلى العربية بشعره محاكات هندية وسنسكرتية وعبّر في اشعاره عن بعض البدائع الهندية العربية".

وعن شعره الغزلي يقول الأمير صديق حسن خان:

"وله في التغزل طور خاص قلما يوجد في كلام غيره، يعرفه أصحاب الفن" ولعل ذلك مرده إلى بالبيئة الهندية وما كانت تمده من صور الخيال والإلهام ثم انّه كان مقتدراً على أدبه الوطني الهندي مثل اقتداره على الأدب العربي، واستطاع بذوقه ووجدانه أن يمزج بين الأدبين فيقدم نموذجا جميلا لمزيج أدبي لطيف، يقول:

تعالوا واسمعوا ملح الأغاني عن الورقاء ثم الكوكلاء

إنه نقل الخيال الشعري الهندي إلى العربية، وتبلغ هذه الصنائع الأدبية إلى ٢٣ صنعة كما قابل بحور الشعر الهندي وقوافيه ببحور الشعر العربي وقوافيه، يقول:

"إن معظم بحور الشعر الهندي تختلف عن الشعر العربي الفارسي ولكن البحر المتقارب كفن الخليل، والبحر السريع يوجدان في الشعر الهندي أيضاً" وقد أشار إلى فرق كبير بين البحرين فقال: إن الشعر الهندي يحتوى على بحور تتخلل قافيتها في وسط المصراع لا في نهايته ورغم ذلك فانها مما يستحسن في الشعر.

ويغتبط آزاد بابتكار في الشعر، ويعتبر نفسه مجدداً للبدائع، كما يقول:

---

(١) هو أفضل الدين إبراهيم بن علي الخاقاني الحقايقى الشرواني ولد ٥٢٠ هـ/١١٢٦ م في قرية دربند من قرى شروان وتوفي ٥٩٥ هـ/١١٩٨ م (فرهنك دانش وهنر).

ألّفت سفراً في البديع وغيره ونظمت سمطاً من ثمين جان
قد كان عبد الله واضع فنه وله إلينا غاية الإحسان
وأنا المجدد للبديع فيا لما قد صفته من حلية الأذان

ونجد في شعره مئات من الأبيات التي يتجلى فيها الخيال الهندي الخالص وتشبيهات الأدب الهندي واستعاراتها، وفي رأي محمد أسلم الإصلاحي أن آزاد من ابرع الشعراء في تاريخ الأدب العربي في الهند وانه ما من أحد في الهند تفوق عليه في هذا المضمار ولا تزال أسبقيته مستمرة ولا يزال أعظم شاعر عربي في الهند.

ويقول المولوي عبد الحق:

أن قصب السبق كان لآزاد في قرض الشعر باللغة العربية لذا فهو يستحق لقب حسان الهند. وقد سبق هؤلاء أحمد الشرواني بقوله في ترجمة آزاد: "آزاد سحبان الهند وحسانها وناثر لآلئ اللطائف الأدبية ونظام سبحة مرجانها، شمس ما أطلعت سماء معالي الديار الهندية شمساً غيره منشآته البديعة نزهة للعيون، ودواوين نظمه محلاة بجواهر الفنون..".

ونظراً لشهرة آزاد في وطنه وتداول شعره بين مواطنيه فقد أثار ذلك بعض المعترضين على طريقته في النظم وخاصة تلك المنظومات التي ادخل فيها تعبيرات هندية فمن رأي زبيد أحمد أن ذلك كان عيباً بادياً في شعره وظهر ذلك خاصة في قصيدته لامية الهند قال: أنها لا تمثل ذوق الشعر العربي الخالص، وان لامية القاضي عبد المقتدر . رغم عجميته أحسن منها بكثير في انسجام الكلمات مع المعاني والبداهة.

والى هذه الناحية أيضاً أشار الباحث شبلي النعماني، واعتبر غلبة العجمية في شعره عيب على عالم في مثل مكانته العلمية واطلاعه الواسع على لغة العرب.

ولعل أول المنتقدين على آزاد هو محمد باقر آكاه . وهو شاعر ومصنف هندي . الذي ألف "چهار صد إيراد برکلام آزاد" أي أربعمائة اعتراض على كلام آزاد، وإذا كان آزاد قد رد بنفسه على كثير من هذه الانتقادات فانه لم يعدم المؤيدين له لذلك نجد صاحب "تذكرة كلزار أعظم" لم يذكر من هذه الاعتراضات الأربعمائة سوى أربعة مظهرا عدم الرضا عن آكاه، والواقع أن معظم هذه الاعتراضات وخاصة انتقادات آكاه لم يكن مبعثها الفن للفن وإنما دافعه شخص يحاول الهدم بتصيد الأخطاء حينا وافتعالها أخرى ومن ذلك تغييره لبعض أبيات آزاد بزيادة حرف أو حذفه حتى يجد ثغرة للنقد مثل قول آزاد:

وصل وصد رافة وقساوة ما المبتغى من هذه الأوصاف

فيورده آكاه هكذا:

وصل وصد رافة وقساوة ما المبتغى لمن هذه الأوصاف

وشبيه بهذه الانتقادات، ما جاء في كتاب (شرائف عثماني) لكن آزاد يبقى ذلك العلم الشامخ في الأدب واللغة والشعر والبديع والعروض والتاريخ وتشهد عليه كتبه ومؤلفاته وتبقى شاعريته العربية المتميزة بين شعراء الهند.

وفاته:

توفي سنة مائتين وألف ببلدة اورنك آباد وأرخ لوفاته بعض أصحابه من اسمه فقال "آه غلام علي آزاد".

آثاره:

١ ـ **سبحة المرجان في آثار هندوستان:** من الآثار المهمة لآزاد ترجم فيه لعلماء الهند الناطقين بالعربية، ألفه سنة ١١٧٧هـ / ١٧٦٣ م ويحتوي على أربعة فصول:

الفصل الأول: ما جاء في ذكر الهند في التفسير والحديث.

الفصل الثاني: في ذكر العلماء

الفصل الثالث: في محسنات الكلام وبتناول البلاغة في الأدبين السنسكريتي والعربي.

الفصل الرابع: في المعشوقات والعشاق وهو مخصص لموضوع الحب كما ورد ذكره تفصيلياً في الكتب الهندية والعربية في الأدب التقليدي، وقد يعرف هذا الفصل بأسرار النسوان وهو فن من فنون الهند عرّبه آزاد واضفى عليه مسحة جميلة من روحه العربية أثبت فيه فناً خاصاً من البديع اخترعه آزاد وسماه "أبو قلمون"[1].

طبع الكتاب على الحجر في بومباي سنة ١٣٠٢ وكان السبب في طبعه كما يقول مصححه امين بن حسن الحلواني في خاتمة هذه الطبعة، هو المولوي السيد محمود بن احمد النقشبندي المجددي بن السيد مهدي باد شاه الملقب بآتش صاحب القبة على باب كابُل.. الخ الذي استوزر لثلاثة من ملوك الدولة الآصفية في حيدر آباد الدكن، والطبع باهتمام ميرزا محمد الشيرازي وخط ميرزا حسين الشيرازي وحصل الفراغ في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٠٣ (١٨٨٥م).

وأرخ أحد الفضلاء هذه الطبعة بقوله:

إنّ آزادَ أمـــــــام الهـــــــدى　　مَـــن طـــاب في المغـــرس والمنـــشإ

---

(١) أرسل آزاد نسخة منها إلى إمام مسقط جدّ الأسرة الحاكمة اليوم في سلطنة عمان فرد الإمام بالجواب الآتي: من عبيد الله المتوكل عليه المعتصم بإمام المسلمين أحمد بن سعيد بن محمد البو سعيدي إلى حضرة أوضح الأمة لساناً وأبرعهم بيانا وأحدّهم سهم عقلا وأثبتهم نقلا الشيخ الأستاذ علامة الدهر وفريدة العصر آزاد الحسيني الواسطي البلكرامي ـ سلمه الله ـ أحيا رسوم الفصاحة بعد أن درست وعفت معالمها وأطلع شمسها بعد أن انكشفت وأجرى مياهها بعد أن غاضت وشيد أركانها بعد أن انهارت.. الخ ويشتمل الكتاب على ما يقرب من خمسين فقرة علاوة على أشعار.

جـــدّد فخـــراً لـــبني جنـــسه ... كـــم قـــد ذواه صـــدف المخبـــأِ
حتـــى بـــدا كالـــشمس في أوجهـــا ... يُغـــني عـــن الـــمُخبر والمنبـــىءِ
وكـــم جنـــى مـــن أنجـــم الزهـــر مـــا ... يربـــو علـــى ملـــتقط الاكمـــىءِ
أهـــدى لنـــا مـــن نـــسجه ســـبحةً ... تُـــزري علـــى الكوكـــب الـــدرئي
تاريخهـــا في بيـــت شـــعر اتـــى ... مثـــل الـــصباح المـــسفر المبـــدىءِ
لـــسبحة المرجـــان طبـــعٌ بـــدا ... يزهـــو علـــى اليـــاقوت واللؤلـــؤِ

١٠٥ + ٣٢٥ + ٨٨ + ٢٨ + ١١٠ + ٥٤٨ + ٩٩ = ١٣٠٣ هـ

وقال القاضي عبد القادر الرضوي الأورنقبادي المتخلّص «بمهربان» تلميذ غلام علي آزاد مؤلف (سبحة المرجان) واصفاً الكتاب ومادحاً أستاذه آزاد:

صـدر الـورى فخـر أهـل الهنـد قاطبـة ... علاّمـة العـصر (مولانـا غـلام علـي)
لقـد أقـرّ علـى الأفـلاك أخمـصه ... وجـلّ في المنـصب العـالي عـن البـدل
في قلبـه مـن سـنا العرفـان بارقـةٌ ... وفي يديـه زمـام العلـم والعمـل
أملـى لنـا «سـبحة المرجـان» مرحمـةً ... واثبـت المنّـة العظمـى علـى المقـل
اتـى بمعجـزة غـراء فاسـخةٍ ... صـحائفاً صـنّفت في الأزمـن الأولِ
كجـدّه بـاهر الإعجـاز حيـث محـا ... كتابُـه صـحفاً مـن معـشر الرسـل
أبقـى لـه لنـا «سـبحة المرجـان» خالـدة ... مـا نـضّر العـيش نبـت الـسهل والجبـل

وطبع ثانية بتحقيق د. محمد فضل الرحمن الندوي السيواني ونشرته جامعة علي كره الإسلامية سنة ١٩٧٦ في مجلدين.

ومنـه نـسخة مخطوطـة في مكتبـة خـدا بخـش بـرقم ٢٧١٢ تسلسل ٢٧٩٣ كتبـت ١٠١٤هـ، ١٩٥ ص وأخرى في مكتبة ندوة العلماء (رديف ١٧٥٩) نسخ: عباس بن أحمد يماني في بهو بال سنة ١٢٩٢ هـ. وقد اطلعنا على كل هذه النسخ واستفدنا منها وأخرجنا الكتاب بهذه الصورة العصرية الجديدة آملين أن تكون هذه الطبعة المعتمدة والأكثر انتشاراً في العالم من خلال مؤسستنا «دائرة المعارف الهندية».

٢ ـ **شمامة العنبر في ما ورد في الهند من سيد البشر**: ألفه قبل كتابه السبحة ثم جعله الفصل الأول منها عدة مخطوطات في الآصفية (حيدر آباد) برقم ٨٥٣، ورقم ٨٥٧ بخط زيد البلكرامي من أحفاء المؤلف سنة ١٢٩٢ هـ، ورقم ٨٥٩ وفي هذا المخطوط ورد قوله في مدح الهند:

قـــد أودَعَ الخـــلاقُ آدمَ نـــورَه ... متلألئـــاً كالكوكـــبِ الوقّـــاد
والهنـــدُ مَهْـــبطُ جـــدّنا ومقامُـــهُ ... قـــولٌ صـــحيحٌ جيّـــدُ الإســـنادِ
فـــسوادُ ارضِ الهنـــدِ ضـــاء بدايـــةً ... مـــن نـــور أحمـــد خـــيرةِ الأمجـــادِ

٣ ـ **ضوء الدراري في شرح صحيح البخاري**: وصل فيه إلى آخر كتاب الزكاة، بدأت فكرة كتابة هذا في الحجاز حين قرأ الصحيح على الشيخ محمد حياة السندي (ت ١١٦٣م)، ولعل النسخة الوحيدة من الكتاب توجد في مكتبة "ندوة العلماء" وقد ذكر عنها وجاهت حسين باسم (Jrasb) بدون إشارة إلى تواجدها في أي مكان. وقد ادعى العالم الهندي المعروف شبلي النعماني في إحدى مقالاته انه شاهد نسخة منه. ولعلّه شهد تلك النسخة الموجودة الآن في مكتبة "ندوة العلماء" ويظهر أنها بخط المؤلف نفسه، وهي مكتوبة على قرطاس عادى بخط غير واضح أشبه ما يكون لقلام على آزاد البلگرامي. وفيه كثير من الإصلاحات وسطوره يختلط بعضها مع بعض والكتاب ليس بحالة جيدة خاصة صفحاته الأخيرة. والنسخة كانت ضمن مكتبة نور الحسن بلكهنو.

٤ ـ **شفاء العليل في الإصلاحات على أبيات أبي الطيب المتنبي**: منه نسخة في الآصفية: ١١١٣، مكتبة علي حسين بحيدر آباد. ونشره الصديق الدكتور نثار أحمد الفاروقي على نسخة مكتبة سالارجنك بحيدر آباد في جزأين نُشرا في ثقافة الهند المجلد ٣٥ العدد ٣ ـ ٤ (١٩٨٤ م)، والمجلد ٣٦، العدد ٢٠١، ١٩٨٥ م.

٥ ـ **كشكول**: أكثر أوراقه بخطه. مخطوط في الآصفية ٢٤٢.

٦ ـ **الأمثلة المترشحة** من القريحة.

٧ ـ **تسلية الفواد في قصائد آزاد**، منه نسخة بمكتبة عارف بيك ولدينا نسخة من الكتاب ذكر في بدايتها انه أتمها سنة ١٠٦٨ هـ أولها بعد البسملة: "نحمدك مولانا أنت جعلت أنفاسنا نسايم تفوح بروايح المعاني".. وتبدأ بفصل عنوانه: (قول في مدح المنظوم من الكلام والحمايل المنوطة بعواتق الأقلام "وقد ترجم لنفسه بعد اثنين من أعلام الهند ثم ترجم لأستاذه محمد حياة السندي وفي الورقة ٢٢ لامية الهند و٢٣ مدح الرسول (ص) إلى الورقة ٣١ ثم ذكر شمامة العنبر المذكورة سابقاً بتمامها.

٨ ـ **السبعة السيارة**: وهي دواوينه السبعة جمعها في مجلد واحد سماه (السبع السيارة) وقد طبعت مختارات من الدواوين الثلاثة الأولى في حيدر آباد الدكن الأول والثالث بمطبعة كنز العلوم، والثاني بمطبعة لوح محفوظ في حيدر آباد أيضاً، كما طبعت في مطبعة آسي بلكهنو (الهند) كل ديوان منها منفصل ومستقل عن الآخر. والأول والثاني والثالث منها مجموع القصائد التي أنشأها إلى سنة ١١٨٧ هـ كما حرّر في آخر هذه الدواوين الثلاثة. والرابع منها "المردف" أي اهتم فيه بالرديف أتمّه في عام ١١٩٠ هـ، والخامس منها ديوان المستزاد أي استزاد فيه بعد كل مصراع من البيت جزئين من بحر المستزاد عليه بشرط الالتئام أو بعد كل بيت إلا البيت المصرّع. وتم الديوان السادس منها في ١١٩٣ هـ والسابع في ١١٩٤ هـ = ١٧٨٠ م.

ونسخة خطية بخط المترجم له من هذه الدواوين السبعة في مكتبة النواب نور الحسن بن النواب صديق حسن خان بلكهنو[1] ومنه نسختان في مكتبة ندوة العلماء (الأولى) ٨١٨ ص مرقم رديف ١٤٤٤ (والثانية) ٦٨٦ ص برقم رديف ١٤٤٤٥.

ونسخة منه كانت لدى صاحب النزهة ٦/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ وقد وصفها كما يلي:

"السبعة السيارة" وهي دواوينه السبعة فالأول والثاني والثالث منها مجموع لقصائده التي أنشأها إلى سنة تسع وثمانين ومائة وألف، والرابع منها "المردف" صنفه لحفيده الأمير حيدر بن نور الحسين البلگرامي في شهور معدودة من سنة تسعين ومائة وألف وهو مشتمل على نبذة من القصائد الغير المردفة أيضاً ورديف عبارة عن كلمة مستقلة فصاعداً تتكرر بعد الروي وبه يتنوع الشعر الفارسي على أنواع لا تحصى ولارديف في شعر العرب وإن تكلف أحد بالترديف لا تظهر له طلاوة مثل ما تظهر في شعر الفرس، والخامس منها ديوان المستزاد صنفه سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، والمستزاد من مستخرجات العجم ثم تناوله العرب وهو كلام موزون يستزاد فيه بعد كل مصراع من البيت جزءان من بحر المستزاد عليه بشرط الالتيام أو بعد عد كل بيت إلا البيت المصرع فانه يستزاد فيه جزءان بعد الشطر الأول أيضاً كما تراعى فيه القافية، والقسم الأول أوفق بالدو بيت والقسم الثاني أوفق بالقصيدة، ولا يخفى على الناقد أن تمكين القافية في زيادة المستزاد فلما يوجد مثله في غيرها فالزيادة فيه كأنها برة في ساق الغادة على أنها تجلب المعاني الرائقة وتجذب الخيالات الفائقة بخلاف الرديف فانه يطرد المعاني ويقتل الغواني، والسادس منها ديوان القصائد فيه ألف وثلاثمائة وأربعين بيتا وفيه ترجيع أنشأه في شهور معدودة من سنة اثنتين وتسعين وثلاث وتسعين، والسابع منها في قصائد انشأها في شهور معدودة من سنة ثلاث وتسعين وأربع وتم الديوان السابع في محرم سنة أربع وتسعين ومائة وألف. وهذه الدواوين السبعة محفوظة عندي ولله الحمد، قال في خطبة الديوان السابع: والدواوين السبعة سوى "مرآة الجمال" وهي قصيدة نونية في وصف أعضاء المعشوقة من الرأس إلى القدم وسوى المزدوجة في بحر الخفيف وهي مشتملة على سبع عشرة حكاية، وجملة أبياتي بعد اتمام الديوان السابع بلغت عشرة آلاف" ومن هذه الدواوين نسخة في مكتبة الرضا برامبور.

٩ ـ **الديوان الثامن:** منه نسخة كانت في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ضمن مجموعة عارف افندي. ونسخة اخرى بمكتبة آزاد ـ جامعة عليكره.

١٠ ـ **الديوان التاسع:** ويعرف بتحفة الثقلين منه، أو نور الأنوار منه نسخة في عليكره ٧١١ ع ٨٩٢ ٢٩٨ ع/١.

١١ـ **الديوان العاشر:** منه نسخة في عليگره أيضاً وأخرى في مكتبة ندوة العلماء تضم (الثامن والتاسع والعاشر) وتقع في ٢٩٦ ص ضمن رديف ١٤٣٢ وقد نسخ سنة ١٢٩٣.

---

(١) ا وجاهت حسين: مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ج٢ (١٩٢٦)، نذير أحمد: نفس المجلة ج١٣ (١٩١٧) ا.

١٢ ـ نظم الدفاتر السبعة المعروف بـ (مظهر البركات): مجموعة شعرية كتبها باسلوب المثنوي الفارسي يصل عدد أبياتها إلى حدود ٣٧٠٠ وهي في التصوف والاخلاق منه عدة نسخ في: بانكي بور ٢٦٤١، المفتاح ١٨٣٨، ندوة العلماء وتقع في ٢٣٦ ص برقم رديف / ١١٣١ نسخ ١٢٨٩ هـ. وهو في البحر الفارسي واللسان العربي على وزن المثنوي في غاية السهولة ونهاية العذوبة. مرتب على سبعة دفاتر. ومظهر البركات تعتبر مجموعة شعرية قصصية صوفية واجتماعية تقع في سبعة فصول أصغرها يتكون من خمس عشرة حكاية وكان آزاد قد قرض في كل صنف من الشعر الفارسي فأنشد الرباعي والمثنوي والمستزاد وما هو دون ذلك. والأرجوزة العربية المزدوجة هي تضاهي الرباعي الفارسي من ناحية القوافي ولكنها نظراً إلى البحور والأوزان تختلف عن الرباعي، فاختار آزاد أوزان المثنوي الفارسي للاراجيز المزدوجة العربية، فكتابه "مظهر البركات" مثنوي عربي أنشده على أوزان فارسية واعتبر نواب صديق حسن خان هذا المثنوي عملاً مجيداً من آزاد. وفي ابجد العلوم / ٩٢٢ قال: مظهر البركات مجموعة لسبعة دفاتر على وزن الشعر المزدوج (مزدوجة في البحر الخفيف، وفي غاية السلاسة والعذوبة، ولم ينظم أحد مثله مزدوجة عربية في هذا البحر، والدفتر السابع منها نظم سنة ١١٩٦هـ) وإذا صح هذا القول فان الحكم بوفاة آزاد في سنة ١١٩٤هـ لا يصح أبداً.

وفيما يلي مطالع هذه الدفاتر السبعة:

أما الأول منه فنظمه سنة ١١٩٣ هـ = ١٧٧٩ م، وأوله:

أحمـــدُ اللهَ واهـــبَ الـــنعَمِ مُوْقِـــعَ العاشـــقينَ في الـــضرَمِ

وأما الثاني فنظمه في عام ١١٩٤ هـ = ١٧٨٠ م وأوله:

ربّنـــا انـــت خـــالقُ البَـــشَرِ جاعِـــلُ النُطْـــقِ أحـــسنَ الـــدُّرَرِ

وأما الثالث فنظمه في عام ١١٩٥ هـ = ١٧٨١ م واستهله بقوله:

أحمـــدُ الله هـــاديَ الـــسُبلِ جاعِـــلَ الـــوَحْيِ حُجّـــةَ الرسُـــلِ

وأما الرابع فنظمه عام ١١٩٦ هـ = ١٧٨١ م واستهله بقوله:

أنـــتَ يـــا ربَ خـــالقُ الـــنَعَمِ مُلْهِـــمُ الـــورقِ صَـــنْعَةَ الـــنَغَمِ

وأما الخامس فقاله في ١١٦٩ هـ = ١٧٨٢ م وأوله:

تـــاجُ راس الخطـــابِ حمـــدُ الله نـــورُ وجـــهِ الكتـــابِ حمـــدُ الله

وأما السادس فنظمه في ١١٦٩ هـ = ١٧٨٢ م وأستهله بقوله:

انـــا أثْـــني عليـــك يـــا اللهُ أنـــا ارنُـــو إليـــك يـــا رَبّـــاه

وأما السابع فرتبه في نفس السنة وبداه بقوله:

ربنـــا انـــت مُنطِـــقُ الفُـــصحاءِ مُـــودعُ الـــسحر مِقْـــوَل الورقـــاءِ

١٣ ـ ديوان آزاد: آزاد شاعر مكثر وقد يصل ما نظمه من قصائد وأراجيز إلى عشرين ألف بيت، ومنها ما جاء بين دفتي ديوان خاص كدواوينه السابقة ومنها وماجاء تحت اسم آخر

اختاره لمجموعة شعرية بعينها كمظهر البركات أو مرآة الجمال، كما ان جميع كتبه تحتوي على مجموعات من شعره.

وفي بعض المصادر أنه بعث بديوانين إلى المدينة المنورة وقُرِءا أمام قبر الرسول الكريم (ص) وكلاهما يشتملان على ثلاثة آلاف بيت.

وعلى كل حال لابد من التثبت من كل تركة آزاد الشعرية، فدواوينه متعددة وعدد كثير من شعره في ثنايا وبطون الكتب التي ألفها وهناك كثير أيضاً من المكرر سواء في الدواوين أو الكتب، وما ورد في ببليوغرافيا المكتبات تحت عنوان ديوان آزاد، سنشير إليه أدناه وعلى من أراد التوسع والتأكد مما يحتويه المخطوط الذي يشار إليه عليه مراجعته بنفسه ليعطي حكمه النهائي على ما يتضمنه فمن المخطوطات الجديرة بالذكر:

- مخطوطة مكتبة خودا نجش / بتنه برقم ٢٣٧٠ . ٣٦٥٢ تسلسل ٢٥٣٧، ٢٠٠ ص، ونسخة أخرى تسلسل ٢٥٣٨.
- ديوان حسان الهند. كبير الحجم مقسم إلى ثلاثة أجزاء، بمكتبة ستراسبورغ / فرنسه كما في فهرسها الذي أعده نزيه كسبي ص ٨٠ تسلسل ٨٤. الرقم ٢٦٧.

ويقول في مطلع الديوان (من البحر الكامل):

لمحتْ إليّ بعينها الكحلاء فمرضتُ طول العمر بالنجلاء

ويتخلله قليل من الشروح والتعليقات كما أن كثيراً من الشعر مضبوط الشكل، خط نسخ يقدر انه من القرن الثامن عشر، والخط أنيق واضح، مكتوب بالحبر الأسود وأحياناً قليلة بالأحمر. ٢٦٢ صحيفة قياس ٢٤ × ١٣ سم الرقم ٤٣٤٠ الغلاف من جلد الماعز الأصهب.

- ونسخة من الديوان تقع في خمسة أجزاء، أظن إنها مظهر البركات، نسخة جيدة بخط النسخ، في مكتبة المتحف العراقي برقم ٣٣٢٢٩، ٢٨٤ ص. كما في فهرس الأدب/١٦٨.
- وهناك رسالة بالفارسية ألفها محمد صديق البلگرامي تدور حول ديوان الشعر لآزاد

١٤ ـ **ارج الصبا في مدح المصطفى:** مجموعة قصائد في مدح الرسول المصطفى (ع) منه نسخة في مكتبة ندوة العلماء تقع في ٩٦ ص برقم (رديف ١٤٢٣) نسخت سنة ١٣٠١ هـ.

١٥ ـ **الشجرة الطيبة** في أنساب السادة الكرام من أهل بلگرام، مخطوط في مكتبة السيد المرعشي. قم. ١٠٠ ورقة، كما في الفهرس ٢ / ٣٢.

١٦ ـ **مرآة الجمال:** قصيدة نونية تبلغ ١٠٥ بيتاً في وصف أعضاء المعشوقة من الرأس إلى القدم وله عليها شرح. أكملها عام ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م ووضع تاريخاً شعرياً لإكماله هذه المجموعة، مخطوطة في مكتبة السيد المرعشي. قم. ٢٦ صفحة رقم ٢٠٨٦ (الفهرس ٦ / ٩٨) وقد كتب حوله شعر فارسي، والحال ان القصيدة عربية ونسخة اخرى في

بانكي بور ٤٦٤١ في آخر "مظهر البركات" وقد كتب الشاعر لكل عضو من جسم المرأة بيتين ومنه قوله في ضفيرتين:

أضفيرتان على بَياضِ خُدودها ... أوْ في كتاب الحسنِ سلسلتانِ
أوْ لَيْلَتا العِيدَينِ اقبلتَا معاً ... أو من قصائدهِمْ معلَقتانِ

(الحاجب):

ابْصِر حواجبَها وادركْ كُنهَها ... غُصْنانِ مُنْحنيان وسط البانِ
أو كافرانِ يُشاوِرانِ ليوقِعَا ... آمالَنا في موقعِ الحرمانِ

في العين:

طرَفا الحبيبةِ ماكِرانِ تَعارَضا ... وتَغافلا عن رؤيةِ الجيرانِ
أو نرجسانِ على غُصينٍ واحدٍ ... وَهُما بماء مسكر نَضِرانِ

(الخد):

خد التي برعت طلاوة وجهها ... وردا طريا من رياض جنان
الورد في بستان غانية الحمى ... والنرجس الريان يجتمعان

(الخال):

الخال في خد الحسينة عبرة ... كيف استقر الكفر في الإيمان
أو طاح في الوقد الذكى فراشة ... أو عرج الزنجي في المسيان
طرفا الحبيبة ماكران تمارضا ... وتغافلا عن رؤية الجيران
أو نرجسان على غصين واحد ... وهما بماء مسكر نضران

(اللحظ):

لحظ المهاة فتورها مستحسن ... يحكي أريج النرجس الريان
ترنو ونحن نخاف فتنة طرفها ... وقع المهند في يد السكران

(الكحل):

انظر إلى كحل على أهدابها ... هو جوهر لهند ويمان
أو ابدع النقاش خطا حالكا ... ليزيد رونق دورة الفنجان

(الأنف):

الأنف سد بين طرفيها نعم ... هذان سيفانان مختصمان
محراب حاجبه بناء رائق ... وهو العماد لذلك البنيان

(الفم):

وفم الحبيبة حقة محمرة ... فيها لآلى الماء والتبيان

ياقوتـــــة مثقوبـــــة لكنهـــــا ... بالثقـــب خاليـــة عـــن النقـــصان

(الشفة):

شـــفة الفتـــاة عقيقـــة يمنيـــة ... تـــشقى صـــدى الظمـــآن

رطبـــان كـــل منهمـــا ذو حمـــرة ... متفـــاخر بـــاللون والحلـــوان

(الثغر):

مـــا الثغـــر إلا كالطباشـــير الـــذي ... يطغـــى لـــواعج غلـــة اللـــهفان

أو أقحـــوان يرتـــوى مـــن ريقهـــا ... أو لؤلـــؤ في حقـــة المرجـــان

(التبسم):

بـــسمت شـــفاه حبيـــبتي أولاح في ... شـــفق ومـــيض رائـــق البرقـــان

أو ســـلّت الحـــسناء ســـيفا لامعـــا ... لتريـــق باسمـــة دم الولهـــان

(المسى):

شـــفة المهـــاة عقيقـــة مـــسيها ... يحكـــى ســـواد شـــقائق النعمـــان

أو هـــذه ياقوتـــة كحليـــة ... فيهـــا جـــلاء بـــصارة الإنـــسان

(اللسان):

حـــسناء مقولهـــا طلـــسم يحتـــوى ... درراً تـــــــــدحرجها إلى الآذان

عـــين الحيـــاة فـــم الـــتي أحببتهـــا ... ولـــسانها هـــو أحمـــر الحيتـــان

(الحديث):

حلـــو ومـــر قـــول فاتنـــة النقـــى ... متلـــبس بتخـــالف العنـــوان

فـــالحلو منـــه لمـــن تنـــاول ســـكرة ... المـــر منـــه مدامـــة النـــشوان

١٧ ـ مآثر الكرام في تاريخ بلگرام ذكر فيها أولياء بلگرام وفضلائها وشعرائها، دفتر أول. مطبعة مفيد عام بأگره ١٩١٠ م. (بالفارسية) ومنه مخطوطة في برلين والمتحف البريطاني والمكتب الهندي.

١٨ ـ غزلان هند، في البلاغة، بالفارسية، منه مخطوطة في مكتبة المرعشي برقم ٣٩١ (الفهرس ١ / ٤٠٨) ٧٣ ورقة.

١٩ ـ خزانه عامرة (فارسي) مطبعة المنشي نولكشور، كانبور ١٨٧١ م.

٢٠ ـ سند السعادات في حسن خاتمة السادات

٢١ ـ انيس المحققين

٢٢ ـ سرو آزاد طبع في الدكن ١٩١٣. (بالفارسية).

٢٣ ـ يد بيضاء بالفارسية.

٢٤ ـ روضة الأولياء (تذكرة لبعض الأولياء).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال مولانا السيد علام على المتخلص بآزاد الحسيني
الواسطي المذكر امي ممتدحا للنبي صلى الله عليه وسلم

لمعت الى بعضها الكحلاء ❊ فمرضت طول العمر للبرحاء
ولقد عملت لحظه سمحت بها ❊ من نرجس ريان بالصهباء
وعلمت آداء العليل صحيحة ❊ لما رايت من العليل شفائي
اسرت قلوب العاشقين بطرفها ❊ احياءها بمميتها الفتاك
ما للغواذل هل اطيق قطيعة ❊ عن بانة هي اغرقت بحياء
روحي لها ولمن بذات ملاحة ❊ روحي ذبيحا في محبة ربه
ضاءت غدايرها بنور جبينها ❊ فيضي حسن البيلة القمراء
والشعر في فحماء ميض كامن ❊ يبدو اذا ابتسمت على الظلماء
او الجوان يسقي من ريقها ❊ او جوهر في الحقه الخضراء
ميسا وخلف الطيلسان كانه ❊ بزر التيا مع سلعة الكافور
ولقد اتتني ليلة فحسبتها ❊ تيها والمي ذيله في الظلماء
قالت تبسم اذ رودت تعانقا ❊ ابيت للطيف فتطلق بالماء
يا ايها الفواد عصيد غوايتي ❊ من سم ثعلبة الخبيثة البرحاء

مخطوطة ديوان آزاد ـ خدابخش ٣١٥٣٩

فاثبت بالقلب السليم فؤاديا ... غوث الورى فى شدة وجهاد
زهان رب العالمين حسبه ... فى الامة الامية الزهراء
هو بدر الكواكب ... الاعلام كما يشاء
هو مختار الكبار الائمة ... انسان بحر العلم والعلماء
فمن يحذ حذوه ... فوق الطرائق ليلة الاسراء
يوم القتال من البنود ظلاله ... ويقوم فى العرصات تحت لوائه
هو سابق وظهوره متأخر ... كنفحة الاشكال للغيل
هو حيرتى وطلابة وحيرتى ... صدر الهمام وحيرة الشهداء
عمت علما الناس وائل كتبه ... وبرق علمك فى الاعالم
طود تظلل بالغمام وكفه ... اروى البرية كالصيب الصحراء
فلذا الجليل بجهده وبكفه ... صم الحصى بحر كالاحياء
غلبوا الخيل فاثرت من عاجها ... بعتاق ملوك من الصلعاء
رصفت ذكاء الى لفاء بانها ... وانشق صدر البدء بالايماء
بالجود وجوه العيمة فى الورى ... اوداء الهدى للصرة الصماء
قد كنت شدا حالى حسبانه ... متضرعا بلواع الصعداء
هاج البكاء الى منازل رحمة ... مسقية بالديمة الهطلاء
يا لاح من نحو الابارق فارق ... الاواذكى النار فى احشائى
وجلست فى كبد السماء كانه ... شمس بين الهند والزهراء
لو كنت تطرحنى وتغشى الى ... لارحموا بينى وبين رجائى
فرجعت عنهم خائفا متربصا ... شوقى امامى والانام ورائى
فلولا اعلمه جذبة نبوية ... لاصبحت فيهم من الاسراء

ان كنت تقدر فى سرادق عزها ... فاذكر على قدر المزاج قصيا
لقد ارتوى بدم القتيل لحاظها ... لا تحسبوا هذا المريض حميا
وبرمت فوادى بالجوانح انثنى ... الله يرحم ثابتا مرميا
سفكت دمى والامر قبل وقوعه ... تدرى لك لى مقتلا مرميا
يسروا الى وادى العقيق وابصروا ... ابرت هناك من الدماء سريا
ان انكرت قتلى فليس بنافع ... وجه القوام لا يكون خفيا
او تاسفون على قتيل المنحنى ... ما صار كان مقدرا مقضيا
اسعادكم تعذبين متيما ... تالله ما هذا المطيع عصيا
اصبحت غانية القبايل فاجظ ... بنظرة هذا المشوق غنيا
زرت الكمايم والحمايم بالحمى ... سرى بنور الابتسام بهجيا
لك حسن حافظة وحسن دراية ... بى انت كيف جعلتنى منسيا
انيم راتة انت صاحب دولة ... اجريت مسكا من سعاد ذكيا
عطر يعرف ورود راتة مرقدى ... فلقد جعلتك يا انيم وصيا
طرقت وكان القوم فى سنة الكرى ... فحملت واستقبلتها محفيا
ونصبت خلاخلها مخافة صوتها ... لا صير حليتها تزين حليا
فجعلت ارجلها كراتة مغزلى ... وصحبت عن تتم الزمان بريا
قابل لوميض كما ازرت عشيرة ... الزير الى متعطش وسميا
شواك مولانا تعالى شانه ... نارا تروى بالزلال صليا
تالله ازرك الا لعلو الورى ... فلك الندى وملك المكان عليا
يستغرق الارياح شملك فاعتم ... قرص الزمان وعالج المكونيا
يا غيث غيثك المبارك رحمة ... انت المفيض على القبايل ريا

ارثا ونحن الظامئون كراتد سماك من ارجى السحاب وليا
ازار دعبدك ياكريم وربجى من ماء منهلك الغزير رويا

البيك الكثير البكاء السبى الاسير اللقى بالغم مصدر لقيه القضى
البعيد الحمى المريض الممنوع ما يضره السرى نهر صغير يجرى الى
النخل يقال مسك ذكى ساطع ريحه الوسمى المطر الاول من
الربيع لانه يسم الارض بالنبات تنسب الى الوسم الصلة بالضم
وبكسرتين مصدر صل الناركرضى قاسى حرها الندى بالقصر
الثراء والمطر الاولى المطر بعد الوسمى سمى وليا لانه يلى الوسمى
الرذى الشرب التام وقال متغزلا

الا نعم صبا حانسيم الصبا لقد جئتنى من جناب الحمى
فتحت كمام النقا بكرة لك الخير انت ابو عذرها
اميته بالبخل مشهورة فكيف تناولت منها الشذا
تغنى بغصن الغضا صادح واهوى بقلبى زناد الغضا
تكدرت جدا بنو حانة لقد اذكر العهد عهد الصفا
فهل يرتئى المعتفى لذة وهل يطفر العبد بالمدعى
مهاة ابوها اخو غيرة حمتنى عذاة بام الشريل
فيا حسرتا ملك محفوفة بانس البشرى وانطبى والقنا
اراقت دمى من اراقت دمى تخاف السرايا بيان اسمها
لقد برح الحب لما وقفت بذبح المحب بسوح منى

اسلمی ایتک مستنجدا فادفعینی فی صوف الغضا
قلت وجئت الی مرقدی مستغیثین بعید الردی
یدی من ید الدهر معذورة فمن لی بصید طباء المنی
ایا ساکنی بابل ارکنوا الا تلا تفجروا با لتوی
وما جرأتی ان ارومَ اللقا رضای رضاها ولو بالنوی
الی الله اشکو العذول الذی علی مسلم سَلّ سیف الاذی
لان اخترت دین الهوی فاستقم کذا قال لی صانع المنحنی
الاکن فراش اخا لوعة وحم حول النوار نار الهوی
فطوبی لمرآ جرت عینه واردی بها غصن بان النقا
لقد ذاب فی الحب آزادنا ویرجو من الله حسن الرضا

ثم صباحا کلمة تحیة کانه محذوف من نعم صباحا بالکسر کما یقال من الکل یاکل فحذف منه الالف والنون تخفیفا ذکره صاحب الصحاح واهله صباحا یقال لکنه ذکر فی مادة الصبح وقال مسیحهم قال ابن عم صباحا اقول ویوید قول صاحب الصحاح ما یقال انعم الله صباحه بل یقال عذرها ای منعشها یقال نعمان شرع شیئا والعذرة البکارة تحذف تارة اذا اضیفت اجماعا

رقم هذه القصیدة الاخیرة الفقیر غلام علی آزاد الحسینی
الواسطی البلکرامی ناظم الدیوان فی ۵ جمادی الاولی

سنة ۱۱۷۰

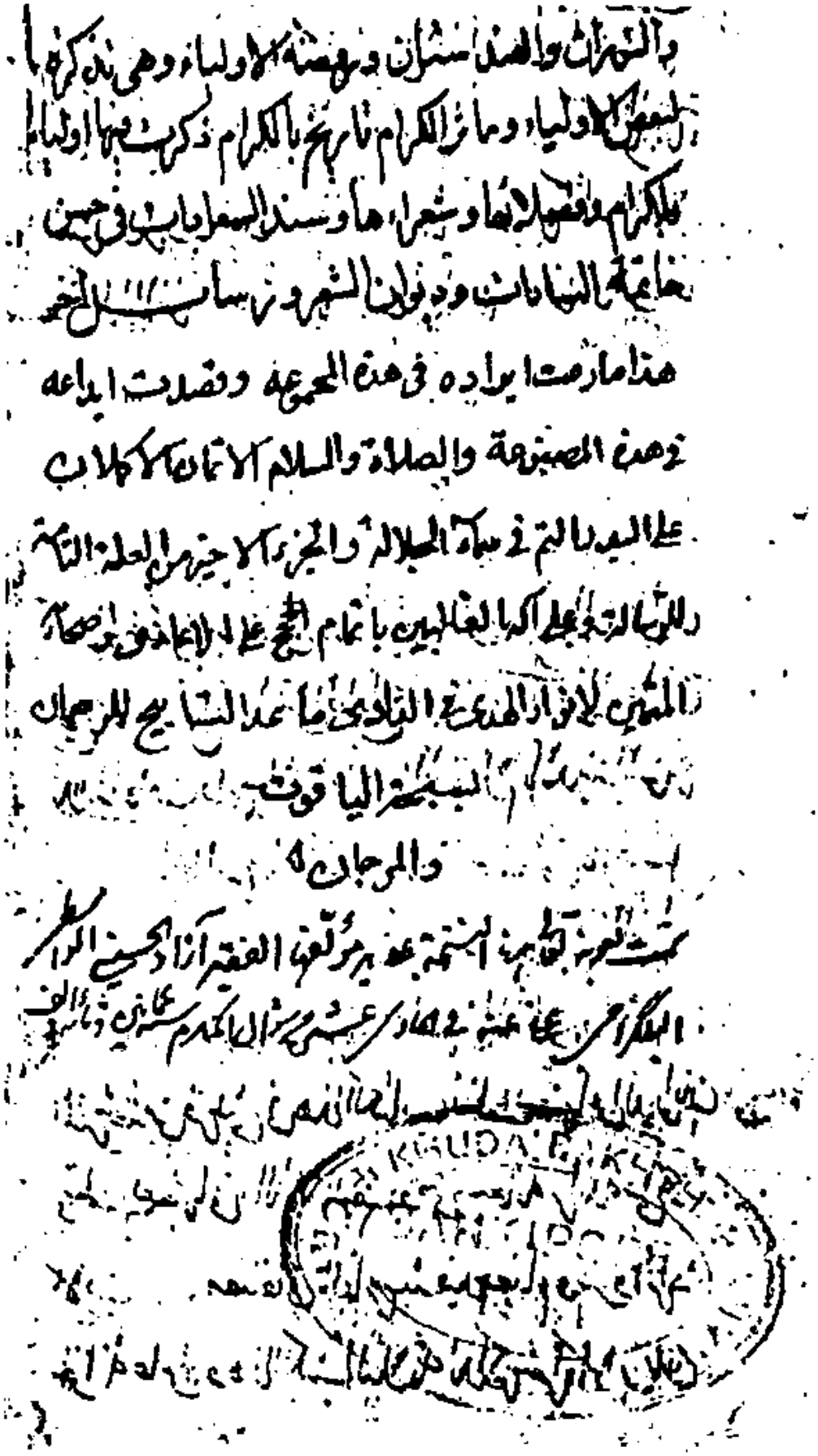

انموذج من خط المؤلف ـ مكتبة خدانجش H.L ٢٤٨٧

باقة من أشعاره

لامية الهند

سبحان من أرّق العشاق في الأزل ... وزان ناظرة الغزلان بالكحل

هو الذي جعل الأكباد راضية ... بأسهم من ذوات الأعين النجل

أصابني بالعوالي سهم رامية ... شهيرة بمهاة من بني ثعل

من لي بفاتنة صينت كمقلتها ... بمرهفات مُعَرّاة عن الخلل

مضى زمان لقينا فيه جيرتنا ... عفى المهيمن عن أيامنا الأول

نعد شوقا وإخلاصاً مناقبهم ... بسبحة من لآلي أبحر المقل

قاموا فشدوا رحال البين وانفصمت ... عراي سائقة حلوا عقلة الجمل

تأنّ اثر حداة العيش أفئدة ... يا ليتها تجعل الأجراس للإبل

ايا حمام أطلت السجع في فنن ... تعال نبك ولو آنا على الطلل

لعل ساكنة الوعثاء ترحمنا ... نرجو المحال وهذا منهج الثمل

عود الكواكب حتم اثر ما افلت ... فما لغزّة لا تبدو من الكسل

ألمّ بي طيف من أهوى ليشفيني ... ليرتوي كبدى الظمآن بالبلل

الأم يا أيها اللوام تعذلني ... اضرّ كلم فؤادي مرهم العذل

راي الأساة مريض في معالجتي ... إلا التي تركتني في يد العلل

طال السقام إلى أن صرت محتضرا ... يا رحمة الله عودة لي على عجل

وقبل أن تدخلي بيتا سكنت به ... تا الله يبرئني صوت من الحجل

ان المجاز وايم الله قنطرة ... طوبى إذا جاز محفوظا عن الزلل

فانظر إلى من تجلّى في مظاهره ... سبحانه وتعالى منتهى الأمل

غرست لله تسبيحا وارقب ان ... أنال اثماره في اقصر المهل

بجاه من اثمرت أشجاره عجلا ... عونا لعبد عتيق حاد في العمل

هو الذي دلّنا لُطفاً على شجر ... يفيد في كلّ حين يانع الأكل

محمد زينة الأفلاك عنصره ... ووشي أردية الأسحار والأصل

فوق العباد وبعد الرب مرتبة ... وجوهر نَزِهٍ عن وصمة المثل

سناه مبدأ اثار مكونة ... والابتداء مدار الحكم في الجمل

تبـــارك الله بـــدر لا محـــاق لـــه ... وخـــاتم فُـــصّه نـــور بـــلا حـــول
لقـــد رأي الفقـــر إقبـــالاً بنـــصرته ... حتـــى غـــدا غـــرة في جبهـــة الـــدول
أراد خـــير الـــورى زيـــدت مناصـــبه ... إلقـــاء حـــضرته العليـــا مـــن العلـــل
فـــالله مـــن صـــهوة الأفـــلاك مكّنَـــه ... جـــزاء مـــا رامـــه في ذروة الجبـــل
لا غـــرو أن أخّـــر الخـــلاّق بعثتـــه ... هـــو المقـــدم في المعـــني علـــى الرســـل
فمبـــدل منـــه في الإنـــشاء توطيـــة ... وإنمـــا نظـــر المنـــشي إلى البـــدل
فـــازت بفـــصل ربيـــع شـــاه معـــبره ... كأنمّـــا الـــشمس حلّـــت دارة الحمـــل
وأطفـــأ النـــار نـــار الفـــرس وهـــو غـــدا ... ينجـــي العـــصاة مـــن النـــيران والـــشعل
أظلـــه الغـــيم في آنـــاء هـــاجرة ... سقاه في الترب صوب العارض الهطل
الحمـــد لله رب الطـــول شـــرفنا ... باشـــرف الخلـــق هـــادي اشـــرف الـــسبل
جلّـــى عروســـاً مـــن الـــدّيْن الجميـــل علـــي ... منـــصّة الـــدّهر في حلـــي وفي حلـــل
جـــاءت فعطّلـــت الأديـــان ملّتـــه ... طـــلاوة البحـــر تمحـــو رونـــق الوشـــل
مـــا أخـــصر الـــدين والآفـــاق موطنـــه ... والـــسهم غايتـــه قـــصوى مـــن الأســـل
خـــص الإلـــه بـــأوفى الأجـــر أمتـــه ... وإنمـــا عملـــوا لله في الطفـــل
حالـــت إلى ارغـــب البيـــتين قبلتـــه ... ودينـــه اثبـــت الأديـــان لم يحـــل
لـــو قـــدم الله في اليونـــان حكمتـــه ... لمـــا تكلـــم افلاطـــون بالمثـــل
لقـــد تـــشمر في صـــف الجهـــاد علـــى ... إقامـــة الـــدين بالعـــسّالة الـــذبل
بحبلـــه فثقـــوا يـــا قـــوم واحـــترزوا ... عـــن حبـــل هالكـــة في حلقـــة الوثـــل
مـــا أدركـــت فئـــة عميـــا جلالتـــه ... يـــا ليتهـــا تنـــثني عـــن مـــسلك الجـــدل
بـــئس المـــريض الـــذي صـــفراه قـــد غلبـــت ... فبـــات يـــدرك طعـــم الـــصابفي العـــسل
يـــا أيّهـــا المبـــدأ الفيـــاض مرحمـــة ... انـــت الحيـــا وانـــا المكـــوي بالغلـــل
أروم فـــوزي بـــالزوراء ثانيـــة ... أيّـــان يحـــصل لـــي عـــلّ علـــى النهـــل
المرتـــضى هـــو نفـــس المـــصطفى فلـــذا ... غـــلام خـــدمتك العليـــا غـــلام علـــي[1]
عـــلا ثنـــاؤك عـــن إحـــصاء مقولنـــا ... أيجعـــل البحـــر في الإبريـــق بالحيـــل

---

(١) إشارة إلى آية المباهلة الشريفة، رُوي عن الإمام الحسن (ع) " قال الله تعالى لجدي صلى الله عليه وآله وسلم حين جحده أهل نجران وحاجوه [فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين] فأخرج جدّي صلى الله عليه وآله وسلم معه في الأنفس أبي ومن البنين أنا وأخي الحسين ومن النساء فاطمة أمي فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه ونحن منه وهو منا ". القندوزي: ينابيع المودة ١/٥٠.

أشـــار إلـــي أولاده وكتابـــه ... فساواهما في هدي أهل الشعائر[1]
هـو القمـر الوقّـاد في فلـك الهـدي ... وأصـحابه عقـد النجـوم الزواهـر
اغـث يـا رسـول الله آزاد زاده ... ومـيض بسلع لاح نـار البـوادر
جنابـك غيـث يستغيث بـه الـورى ... وانـي لعـود يـصطلي في المجـامر
فهـل ارتـوي يومـاً بعـين معـرف ... وانـشق بـالزوراء عـرف الاذائـر
وأرنـو عقيقـاً زاده الله رونقـاً ... بمـرآه يـا بـشري جـلاء البـصائر

وله ممتدحاً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

يـا قلـب دُبْ هَمَّـت الأظعـان بالـسفر ... وقـل سـلام علـى سـيّارة الـسحر
صـان الآلـه عـن الآفـات فاتنـة ... يـوم النـوى فوضت عـيني إلـي السهر
سـألتها عـن فـؤادي كيـف حالتـه؟ ... قالـت: لقـد صـنته في عقـدة الطـرر
وعـاد يـومي لـيلاً سـاعة ارتحلـت ... مختالـة كظبـاء النجـد في الحـور
يـا أيهـا النجـد حيّـاك الغمـام لقـد ... شـبهتها بظبـاء فيـك فـافتخر
يـا صـاح هـل لـك علـم أيـن نازلـة ... جمانـة فتنـتني مـن بـني مطـر
أتـدّعي غانيـات الحـي رونقهـا ... شـتان شـتان بـين الـصحب والغـرر
وفاقـت البانـة الخـضراء مائـسة ... تختـال مائلـة مـن نـشوة البطـر
رشـيقة اشـبهت في ميـسها شـجراً ... رعـاه مـن هـو هـادي الـنجم والـشجر
محمـد نَـوَّرَ الاكـوان قاطبـة ... فيـالنور بـدا في هيكـل البـشر
الفـاه أسـنى مـن الأقمـار واصـفه ... فـان جـوهره صـاف عـن الكـدر
مـا ان رأيـت شـريكاً في ملاحتـه ... ولاسمعـت بـه والـسمع والبـصر
لقـد اشـار فـشقّ البـدر اصـبعه ... كجنـة قطعـت بالـصّارم الـذكر
وفي الغمـام إلى أوج الـسّعادة إذ ... اظـل غـصنا رطيبـاً يـانع الثمـر
لقـد أتانـا بـشمس غـير آفلـة ... يومـاً أفـاض علينـا رابـع الزبـر
كيـف الوصـول إلى ارض مباركـة ... شـفاء إسـقامنا في تربهـا العطـر
مدينـة الـوحي لا زالـت مـشرفة ... فيهـا طبيـب يزيـل الـسقم بـالنظر

---

(١) قال (ص): " أني تارك فيك الثقلين من بعدي، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض." (مستدرك الصحيحين ١٤٨/٣، المعجم الكبير/١٣٧، مسند أحمد ١٤/٣، سنن البيهقي ١١٣/١٠.

الا تـــرى لاقتبـــاس النـــور مانعـــة ... حيلولـة الأرض بـين الـشمس والقمـر
وههنـــا شـــارق في الأرض مـــستتر ... ولـــيس إشـــراقه فينـــا بمـــستتر
انـــي لأطمـــع أن اســـعي إلى حـــرم ... إليـه يلجـأ مـن في البـدو والحـضر
واســـتعير مـــن الورقـــاء أجنحـــة ... حتـــى أطـــير إلى بـــستانه النظـــر
مـــولاي (آزاد) عبـــد فيـــك مطمعـــه ... حقـــق أمانيّـــه في أحـــسن الـــصور
لقـــد رأي منـــك (كعـــب) اي مرحمـــة ... وفـــاز (نابغـــة الجعـــدي) بالـــدرر
عليـــك منـــا صـــلوة طـــاب عنـــصرها ... مـــا أورق الفـــنن الميـــاس بـــالمطر
والك العز والأصحاب هم سحب ... فاضـــت علـــى غلـــل منـــا بمنهمـــر
فاضت

قال متغزلاً:

يـــا ظبيـــة فتنـــتني أيـــن مرعـــاك؟ ... وحيـــث أصـــبحت عـــين الله ترعـــاك
انـــي لهمـــت ومـــا أمـــري بمبتـــدع ... الأس والبـــان والغـــزلان تهـــواك
ارى غـــصون النقـــا يرقُـــصن قاطبـــة ... لقـــد تمـــايلن تـــشوى مـــن حميـــاك
والـــشمس ترفـــل في أبراجهـــا مرحـــاً ... لعلـــها مـــا رات يومـــا محيّـــاك
فـــارفلي في ميـــادين الحمـــى ســـحراً ... حتـــى تحقـــق رأي العـــين دعـــواك
لقـــد أخـــذت فـــؤادي ثـــم تنكـــره ... تـــا الله ناطقـــة بـــالحق سمـــاك
انـــي لا فنيـــت في ســـوح الهـــوى عمـــري ... مـــا إذ رأيـــت وراء الحـــسن حـــسناك
حـــب الخرائـــد يـــوري في القلـــوب صِلى ... أســـني الـــبراهين للعـــشاق مـــرآك
مـــا يفعـــل الـــصب أن لم يحـــترق برضـــاً ... أوان يبـــسم بـــرق مـــن ثنايـــاك
كـــان المطـــوق بالتغريـــد يُـــؤلمني ... فجـــاء ضـــاعفه حـــادي مطايـــاك
امرضـــتني ليلـــة فارقـــت عامـــدة ... فهـــل تمرضـــني يومـــاً بلقيـــاك
وبـــيّني يـــا رعـــاك الله مرحمـــة ... متـــى تكـــون إلى الأحبـــاب رجعـــاك
ارنمـــت خنـــصرك اليمنـــى لتـــذكرني ... عـــلام ضـــيعت مـــا اودعـــت يمنـــاك
جـــنّ الـــدجى ونجـــوم الليـــل طالعـــة ... فـــأين يـــا بنـــت عبـــد الـــشمس مـــسراك
ايـــا حمامـــة جرعـــي انـــت غايبـــة ... كأنمـــا جبـــل العنقـــاء مثـــواك
ويـــا اثيلـــة ســـلع انـــت نائيـــة ... يـــا ليـــتني ارتـــوي يومـــا بريـــاك
ويـــا نـــويرة رضـــوي انـــت في كبـــدي ... مـــن الـــذي في ظـــلام الليـــل إذ كـــاك
وطلـــت يـــا ليلـــة ظلمـــاء فاقتـــصري ... أظـــن أن ضـــلّت المـــسرى ثريـــاك
ويـــا ســـحاب النقـــا أصـــبحت مـــنهملا ... لأنـــت فـــيم علـــي ارض النقـــا بـــاكي

ويا خزامي اللوى عطّرتَ محفلنا ... صوب الاصائل والأسحار رواك
ويا صبا انت بالرجوى تعللني ... مهيمن فتح الاكمام حيّاك
ويا مهاة الحمى أيّان تلطف بي ... إليك ناظرة إحداق إشراكي
ويا سعاد صلي أزادنا كرماً ... أليس هذا قديماً من ندامايا

ومن شعره قوله:

أدرك عليلا لقاء منك يكفيه ... وطرفك الناعس المراض يشفيه
كتمت دائي عن العذال مجتهداً ... ما كنت أدري تُحول الجسم يشفيه
فداوني عن سقام أنت منشأه ... ونجني من ضرام أنت موريه
لقد ثنى عطفه من مغرم دنف ... مهفهف ثقل الأرداف يثنيه
رعى الإله سقامي لو يعالج من ... أحببته بدواء الخمر من فيه
وحبذا العيش لو يمشي على مقلي ... غصن رطيب من العينين اسقيه
شان المحب عجيب في صبابته ... الهجر يقتله والوصل يحييه
لولاه ما شاقه عرف الصبا سحر ... ولم يكن بارق الظلماء يشجيه
يا جارة هيجت بالنصح لوعته ... بحق مقلته العبراء خليه
إليك يا رشأ الوعساء معذرة ... أ أنت عن رشأ البطحاء تسليه
لوائمي قطعت أكبادهن متى ... رأينه في كمال الحسن والتيه
أيا صواحب أكباد مقطعة ... فذلكن الذي قد لمتنني فيه
إذا رنا فمهاة البيد تشبهه ... أو ماس فالبانة الخضراء تحكيه

وقوله:

برق أضاء من الزوراء يشجيني ... يا رب ما باله يبكي ويبكيني
أني لسان يؤدي شكر أنعمه ... بالماء والنار يرويني ويوريني
هويت حسناء أسعى في إراحتها ... وتلك في غاية الإيذاء تؤذيني
لا يذهب الغل ماء المزن من كبدي ... بل ماء ياقوتة اللمياء يرويني
تدور في مقلتي أيام لقيتها ... هل ما مضى من زمان العمر يأتيني
طيف الذي قتلتني يوم ذي سلم ... أن جاءني في منام الموت يحييني
لا ابتغي أن تراني ملأ مقلتها ... لحظ قليل من العينين يكفيني
ما لاح مني قصور في محبتها ... بأي ذنب وقاها الله تقليني
تكف عنّي بين الناس مقولها ... لكنها برموز العين تسليني
إني لشمع قبيل الصبح محتضر ... ما سرعة الأجل الموعود تبقيني
تبكي وتذكرني بعد الوفاة فهل ... بكاءها بعد ما ثُوويتُ يجديني

التواريخ الشعرية:

والمتصفح لأشعار (آزاد) يجد الكثير من التواريخ الشعرية التي نظمها في مناسبات شتى، ومن ذلك قوله مؤرخاً وفاة السيد عظمة الله بن لطف الله البلگرامي المتوفى سنة ١١٤٢هـ:

قضى نحبه مَنْ (عظمة الله) اسمه وأصبح في روض الفراديس ذا جاه

فأرخ شادٍ مستعيناً بواحد وآخر دعويهم أن الحمد لله

وكتب في تسلية الفؤاد (المخطوطة الورقة ٤٧) تاريخاً شعرياً ضمن دائرة لوفاة جده السيد عبد الجليل البلگرامي المتوفى ١١٣٨ هـ، وقد جاء في المخطوطة المذكورة قوله:

واستخرجت لوفاته تاريخين من آيتين كريمتين الأولى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة في البيضاوي الحسني الجنة والزيادة هو اللقاء والثانية أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن قد عملت لعام وفاته دائرة تخرج منها تواريخ لا تعد ولا تحد وهي هذه:

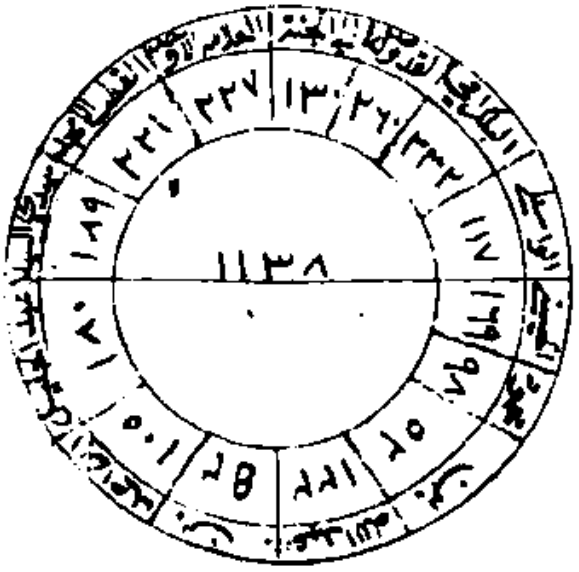

وطريق استخراج التاريخ من هذه الدائرة هوان يفرض المبدأ أي بيت يشاء من هذه البيوت ويعد بأي عدة يشاء من الأعداد إلاّ الواحد والأربعة عشرة وأضعاف الثاني والأول مع الأخيرين فإذا انتهي التعداد إلى بيت يؤخذ ما فيه من العدة ثم العدد الذي اختير أن كان فردا يجعل البيت الذي انتهى إليه التعداد في هذه المرة مبدأ التعداد ثانية وبعد دورة فدورة ينتهي إلى المبدأ الأصل وحينئذ يجمع ما حصل من الأعداد وهو يكون تاريخا وان كان زوجا يجعل المبدأ ثانية ما يلي البيت الذي انتهي إليه التعداد في المرة الأولى ويعد حتى ينتهي إلى بيت قبل المبدأ الأصل وحينئذ يجمع ما حصل من الأعداد وهو يكون تاريخا والمراد بالإضعاف في الأعداد المستثناة ما أفاده أهل اللغة أعني مثلين وثلاثة أمثال فصاعدا علي ما في القاموس خلافا لعلماء الحساب ولما رأى هذه الدائرة مولانا السيد عبد الرحمن المكي سلمه الله تعالى أعجبته وعمل دائرة علي منوالها لعام وفاة والده الشريف مولانا السيد محمد اسلم المرحوم.

المصادر

- مجلة الجمعية التاريخية الباكستانية ، العدد XXV١ ص ١ ـ ٢٢.
- فهرست الأدب في مكتبة المتحف العراقي / ١٦٨
- كحاله: معجم المؤلفين، ذكره في ثلاثة مواضع الأول ٢ / ٢٢٤ تحت اسم آزاد البلگرامي وفيه وفاته ١٢٠٠ هـ، الثاني: ٣ / ١٥٢ تحت اسم جلال الدين آزاد: له سبحة المرجان عن: Mingana: Catalogue Of Arabic Manuscripts ٦٢/٤ والثالث ٣٢/٧ ـ ٣٣ تحت اسم علي آزاد وذكر وفاته سنة ١١٩٤.
- معجم المطبوعات لسركيس (القاهرة ١٩٢٨) ص١.
- إيضاح المكنون ١ /١٢٦، ٤٨٣ ، ٣/٢، ٢٨ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٢٩٨، ٤١٩.
- هدية العارفين ١/ ٧٧٠
- فهرس دار الكتب المصرية ٣ / ١٨١ ، ٢١٤/٥.
- نزهة الخواطر ٢٠٣/٦ ـ ٢٠٧ رقم ٣٨٨.
- دائرة المعارف الإسلامية ٢ /٣٢، ٤/ ١١٣ ، وكذلك ضمن حرف الغين G.
- مخطوطات مكتبة المرعشي ١ / ٤٠٨، ٢/ ٣٢، ٦/ ٩٨.
- فهرست مشروح بعض كتب نفيسة قلمية مخزونة كتب خانة آصفية للسيد تصدق حسين الكنتوري ٤٩٣/١ ـ ٤٩٤.
- مجلة الأزهر ، السنة ٤٨ ، نوفمبر ١٩٧٦ ـ ذو القعدة ١٣٩٦ هـ مقال د. عبد المقصود شلقامي.
- فهرست المخطوطات العربية في مكتبة ستراسبورغ الدكتور نزيه كسبي ص ٨٠ تسلسل ٨٤.
- مفتاح الكنوز المجلد ٣ طبعة اطهر شير ١٩٦٥ ص ١٢٩.
- حركة التأليف في الإقليم الشمالي للدكتور جميل أحمد / ١٣٠ ـ ١٤١.
- سبحة المرجان ١١٨ ـ ١٢٣، وطبعة ١٩٧٦ ج١ ص ٢٩٨ ـ ٣٠٩.
- مآثر الكرام ١٦١ ـ ١٦٤، ٣٠٣ ـ ٣١١.
- خزانة عامره ١٢٣ ـ ١٤٥ ، لآزاد ، كانبور ١٨٧١ م.
- إتحاف النبلاء للنواب صديق حسن خان، كانبور ١٢٨٨ ص ٣٣٠ ـ ٣٣٥.
- مقالات شبلي طبع أعظم كره ١٩٣٢ ٥ /١١٢ ـ ١٢٩.
- حدائق الحنفية لفقير محمد الجهيلمي اللاهوري، لكهنو ١٩٠٦ ط٣ (٤٥٤ ـ ٤٥٦)
- حديقة الأفراح /١٦٦ ـ ١٦٨.
- Wajahat Husain: Azad Bilgrami, Journal, Royal Asiatic Society Of Bengal, Letters Vol ١١- ١٩٣٦ (Article No.7).
- M.G.: Zubaid Ahmad The Contribution of India + Arabic Literature, Ashraf press, Lahore ١٩٦٧, P: ٢١١, ٢١٢, ٢١٤, ٢٤٨ – ٢٥٥, ٣٠٣, ٣٠٤, ٤٥٠, ٤٧٣, ٤٨٢.
- الكواكب المنتشرة /٥٧١ ـ ٥٧٢
- الذريعة: ٨٤٨/٧، ٩ /٥- ٦، ١٩ رقم ٢٢ /رقم ٨٦٧، ٧ /١٢٥، ١٢ / رقم ١٥٣٩، ١٨ /٢٧٣، ٨ / رقم ١٠٦٠، ١٨٠/٩، ١٢ / ١١٥٥، ١٤ /٢٢٧٧.
- تسلية الفؤاد في قصائد آزاد (مخطوط) مكتبة دائرة المعارف الهندية.
- مستدركات أعيان الشيعة ٦ م١٩٩ ـ ٢٠١ وفيه (أن اسمه من الأسماء الشيعية الفارسية التي لا يستعملها غير الشيعة.. وجميع عائلته وأخواله من السادة العلويين الشيعة في بلدة بلگرام (ص٢٠٠)!
- رسالة في ترجمة آزاد بلگرامي، مجهولة المؤلف.
- مخطوطة في ندوة العلماء (رديف ١٧٨٢) ٢٠ ص.
- أعلام الهند: تأليف محمد سعيد الطريحي، المجلد الأول /ص ١٣ ـ ٥٤، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- روضة الأولياء لغلام علي آزاد/١٥٤، الهند ١٣٠١هـ.
- مقالات شبلي ١١٢/٥ ـ ١٢٩.
- تذكرة علماي هند/١٥٤.